مَرُّ السِّنِين

قصيدة للدكتور حسن على ابراهيم

الوليد تُرى ماذا يروعه ... ولِم تسيل على الخدين أدمعه

أهاله صرف دهر ليس يعلمه ... أو هل تبدى له فى الأفق مصرعه

وغادر المهد وثابا وفارقه ... وصدر أم رؤوم كان يرضعه

سرعان مادب فى درب الحياة فتى ... إن الطريق طويل سوف يذرعه

إن الشباب نعيم لا يحس به ... بل إنه فى مسار العمر أينعه

قد غره طيب عيش بات يغمره ... وعنفوان شباب طل يخدعه

ما كان يحسب أن الدهر مرصده ... وأن ثوب شباب سوف ينزعه

سباحة الميل ما كانت لتزهقه ... وفرسخ الجرى سهل حين يزمعه

خاض الملاعب جبارًا يُدان له ... ما من غريم وإلا كان يصرعه

ومارس الطب جراحاً وهام به ... وكم تجول فى الأجسام مبضعه

خاض الغرام فتيا فاتكا شرهاً ... ما من ضمير ونصح كان يردعه

تبدل الحال ما قد كان يولعه ... بالأمس أصبح فى دا اليوم يفزعه

لم الوصال وقد زالت دواعيه ... ما كان يدفعه للوصل يمنعه

ماذا دهاه دبيب الشيب حل به ... وخط المشيب بفود صار يبذعه

(*) ألقيت القصيدة فى الجلسة السادسة ٤ / ٥ / ١٩٨٥ م .

ماذا يريد من الدنيا وقد ذهبت وهل شباب تولى سوف ترجعه
هل الطعام غدا صعبا تَلَوُّكُه لايستساغ أم الأسنان توجعه
إن الضروس هى البلوى ليخلعها فالضرس أصبح بعد الضرس يقلعه
قال الطبيب لكى تهدا مخاوفه لكل سن بديل سوف أصنعه
اعتاض عنها بأسنان تضايقه أيصنع الخلق مالخلاق مبدعه
والأكل صار قليل منه يتخمه وكان كل طعام ليس يشبعه
وسلم كان يجرى فى مصاعده واليوم صار بشق النفس يطلعه
هل زاد ميل خطى قد كان يصعدها أم هل علا درج بل كاد يوقعه
هذى العصا يشتريها كى تساعده فساقه اليوم كانت ليس تدفعه
قد كان يسمع همس الريح عابرة واليوم رعد دوى ما كاد يسمعه
كانت ذراعاه للأثقال حاملة واليوم ناءت بحمل الريش أدرعه
مالشتاء أتى بالبرد قارسه ولم يكن فى قديم العهد يلدعه
كم سار فيه أسم الرأس حاسره واليوم يبقى بعقر الدار يقبعه
والصيف هل زاد حرًا كى ينو به وكان يبهجه فى القيظ شعشعه
حياة الناس والدنيا تؤرقه يضيق صدرٌ بها والهم يوسعه
أين الأحبة والأتراب قد ذهبوا من فرق الشمل يوماً هل سيجمعه
تعود الفقد والأحباب قد دفنوا فصار فَقْدُ قريب ليس يدمعه
ما ضاق بالخطب مهما ناء كلكله والآن صار أقل الخطب يصلعه
كم نام نوماً عميقاً لاتؤرقه رؤى تحيق ولا الأفكار تحرعه
قد فارق النوم حسيه وأسهده ليل طويل قليل منه يهجعه
ما حرب الهم إلا هم نزوته واليوم صار مصير الكون يفزعه
قد كان ينظر للدنيا وفتنتها واليوم أصبح للأخرى تطلعه

صدر يجيش بآمال وأخيلـــه واليوم ضاقت بصرف الدهر أضلعه
رؤى من الأمل المعسول ترفعه فكان فوق مسار النجم مطمعه
زالت أمانٍ كبارٌ كان ينشدها فاليوم صار أديم الأرض يقمعه
هذى المفاصل كم لانت ولم صلبت سير الزمان على عظم يصعضعه
تقوس الظهر وارتجت مفاصله وضاق من ألم فيها يروعه
هدى العويسات ما مرت بخاطره يعيرها اليوم خطٌّ ليس يقشعه
مارجفة فيه لو أن الدُّنيا ارتعشت والبوم ارتجفت فى الخط أصبعه
خانته ذاكرة كانت توازره فكل ما مر فيها كان يرجعه
كل الحوادث حتى كل ما فربت تبحرت ومضت كالثوب يخلعه
ما عاد يذكر شيئاً كان يقرؤه بالأمس سهواً وصار السهو يتبعه
عانى السعال وسهدا هز مضجعه وكل ماهز نبضا صار يسرعه
باعت وباع بها أحمال أدويـــة تخف داءً كطِمْرٍ بان يرفعه
إن الحياة مضت والموت ممترب كأس المنية دانٍ سوف يجرعه
قالوا المشيب حميل فى ررانته وأنه فى طريق العمر أمتعـــه
تجمع العلم فيه والنهى رجحت وكل أمر أتاه صار يبدعـــه
إن حر ركن الصبا فالعلم بَسْمِده ما هدَّه السن إن العلم يرفعه
تجمعت خسرة الأيام واكتملت فيه المعارف فهى اليوم تُلْمعه
فيه الحجى تَمّ واشتدت قوائمه وطول تجربة فى العمر تنفعه
مادا يفيد ذرى علم وتجربة يعدو تراباً ببطن الأرض موضعه
وأى جـــدوى لعلم لا توازره قوى الصبا وشباب ليس يدفعه
عانى من الشيب أهوالاً منغَّصَةً لو أن للشمس أنفاً كان يجدعه
مَتِّع شبابك بالدنيـــا وأنعمها فإن كل نعيم سوف تُمْنعـــه
أقول للناس عيشوا قدر طاقتكم مع الشباب وقَوْلى من سيسمعه